الذُّلُّ والانكِسَارُ لِلعَزِيزِ الجَبَّارِ

دار اللبّاب

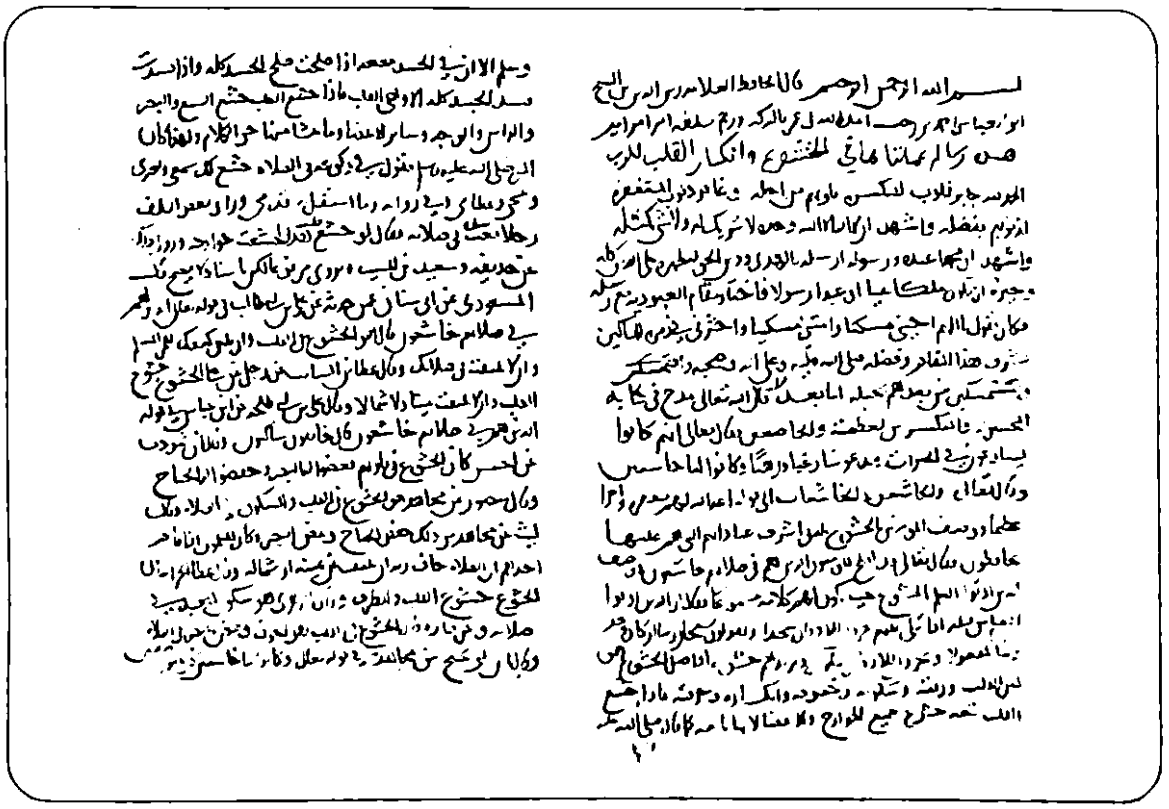

مكتبة شهيد علي باشا (ع)

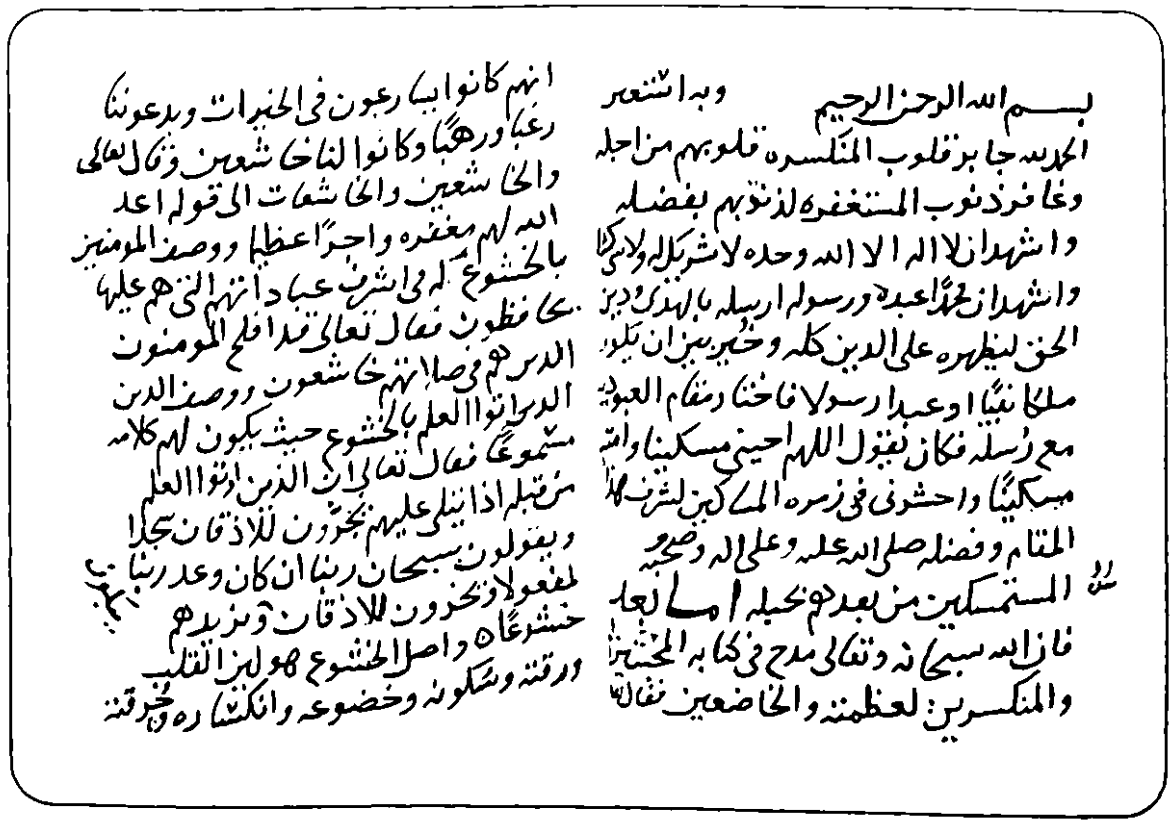

المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (م)

الذل والانكسار للعزيز الجبار للحافظ ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله وغافر ذنوب
المستغفرة لذنوبهم بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخيرين ان يكون
ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام العبودية مع رسله فكان
يقول اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين لشرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه والمستكين بحبله
اما بعد فان الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه المخبتين له
والمنكسرين لعظمته والخاضعين فقال تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال
تعالى والخاشعين والخاشعات الى قوله اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما
ووصف المؤمنين بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي هم عليها
محافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون ووصف الذين اوتوا العلم بالخشوع حيث يخرون

مكتبة شستربتي في إيرلندا (ش)

كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة
زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصواب والتوفيق ال-
الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من اجله وغافر ذنوب المستغفرين لذنوبهم
بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا شيء كمثله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخير بين
ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام العبودية مع رسله فكان يقول
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين شرف هذا
المقام وفضله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه المتمسكين به بعد واما بعد
فان الله سبحانه مدح في كتابه المخبتين له والمنكسرين لعظمته والخا
ضعين فقال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى والخاشعين والخاشعات اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما ووصف المؤمنين بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي
هم عليها يحافظون فقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ووصف
الذين اوتوا العلم بالخشوع له في اشرف عباداتهم التي هم عليها يخرون
للاذقان سجدا ويبكون فقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا الى قوله ويزيدهم خشوعا واصل الخشوع هو لين القلب ورقته
وسكونه وخضوعه وانكساره وخرقته فاذا خشع القلب تبعه خشوع
جميع الجوارح والاعضاء لانها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب فاذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر
الاعضاء وما ينشأ منها من الكلام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
في ركوعه وسجوده خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أحيا القلوب بذكره، فخشعت لجلاله، وخضعت لعظيم سلطانه، وذلَّت الجباهُ لعزته، وانكسرت النفوس لجبروته، والصلاة والسلام على إمام الخاشعين، الهادي إلى الخير، البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذه قاعدة نافعة في معنى الخشوع ولوازمه، وأسبابه ومقتضياته، وما يُوصل إليه، من العلم النافع، الذي يُباشر القلوب فيوجب لها السكينة والخشية، والإخبات والتواضع لله والانكسار له.

ذكر فيها المصنف رحمه الله ما يُثمره الخشوع في الصلاة ـ بأركانها وسننها وهيآتها ـ وفي الدعاء وآدابه.

والخشوع لا يقتصر على ذلك، فللزكاة أيضاً خشوعها ورؤية مِنَّةِ المنعم سبحانه عند أدائها.

وللصيام خشوعه، والشوق معه في ظمأ الهواجر إلى روضات الجنات ونعيمها ومائها وشرابها.

وللحج خشوعه، فهو مَجْمَع العبادات والطاعات، ولكل نسك من مناسكه خشوع، ولكل شعيرة منه فائدة وعائدة من الطواف حول البيت العتيق، واستلام

ركن البيت، ورؤية المقام، وشرب زمزم، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والإفاضة إلى المزدلفة، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، ووداع البيت.

وللجهاد في سبيل الله خشوعه وخضوعه لإعلاء كلمة الله جل جلاله، والشوق إلى منازل الشهداء.

وعند أداء كل فريضة، واجتناب كل معصية: خشوع ينتج عن الصدق في تلك الطاعة والإخلاص فيها لله جل جلاله حتى يصير الخشوع صفةً للمؤمن يلازمه ملازمَتَهَ للقرب من مولاه.

اللهم فاجعلنا وأهلينا وذرارينا من الخاشعين والخاشعات بمنك وكرمك يا قريب يا مجيب.

* * *

ذكر الكتابَ للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥١)، وسماه: «الذل والانكسار»، وذكر له أيضاً: «قاعدة في الخشوع» (ص: ٥٠)، وهما اسمان لمسمى واحد، كما ينطق بذلك حال الكتاب، والله تعالى أعلم.

ونقل عنه السَّفَّاريني، وسماه «الذل والانكسار للعزيز الجبار» في «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٥٠)، و«كشف اللثام شرح عمدة الأحكام» (٢/ ٣٥٥)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٣١).

* * *

وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على أربع نسخ خطية:

١ـ النسخة الأولى: نسخة الباهي في مكتبة شهيد علي باشا، ورمزها (ع).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٤٣)، وتقع في (١٠) لوحات، وجاء في

أولها: «رسالة عملناها في الخشوع وانكسار القلب للرب»، وفي فهرس المجموع بأوله سماها: «مدح الخضوع» ناسخها: العالم الفاضل محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٧ جمادى الأولى سنة ٧٨٧ بمصر، فقد كتبت في حياة المصنف.

٢ـ النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٧٤٢)، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزيز الجبار وهو الله جل جلاله»، وتقع في (٢٢) لوحة (من ٣٨/ ب إلى ٥٩/ أ).

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، أما تاريخ النسخ، فبعض رسائل المجموع ترجع إلى ٨٥٢. قال الناسخ: «تأليف شيخنا الإمام العالم الفاضل زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته». فهو من تلاميذ المصنف.

٣ ـ النسخة الثالثة: نسخة شستربتي، ورمزها (ش).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٣٢٩٢)، وتقع في (١٧) لوحة (من ٨٧/ ب إلى ١٠٣/ أ) مسطرتها: (١٦) سطراً.

ناسخها: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ نسخ رسالة سبقتها في المجموع سنة ٧٩٦؛ أي بعد وفاة المصنف بسنة، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزيز الجبار» لكن بخط متأخر.

٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٢٦٧٤)، في (١٢) لوحة، مسطرتها (١٩) سطراً.

بخط: عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، تاريخ نسخها ١٣ ربيع الأول ١٣٣٣، وهي مصححة ومقابلة.

ـ ووقفنا على نسخة خامسة وهي: نسخة مكتبة الرياض السعودية.

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٢٧/ ٨٦)، وتقع في (٨) لوحات (من ٤٧/ ب إلى ٥٤/ أ)، وجاء العنوان فيها: «كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار».

ولم تتم المقابلة بها لتأخرها.

لم يذكر اسم ناسخها، وتاريخ نسخها: ١٣٣٦، وعليها بلاغات قراءة، وبعض تصحيحات.

* تنبيه:

طُبع الكتاب في عدد من طبعاته باسم: «الخشوع في الصلاة»، وهو عنوان أخص من حال الكتاب، ومما سماه به ابن عبد الهادي ولا يوجد في ما وقفت عليه من مخطوطات. والله تعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

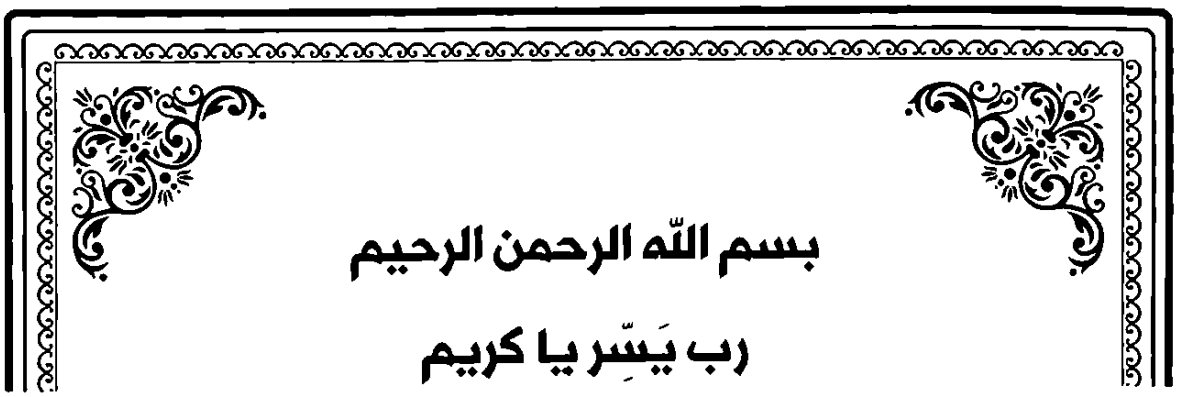

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يَسِّر يا كريم

قال الحافظُ العلامةُ زينُ الدين ابن الشيخ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ رجبٍ أمدَّ الله في عمره بالبركة، ورَحِمَ سلفَه آمين آمين آمين: هذه رسالةٌ عَمِلناها في الخشوعِ وانكسارِ القلبِ للرَّبِّ[1].

الحمدُ للهِ جابرِ قُلوبِ المنكسِرةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِه، وغافرِ ذنوبِ المستغفِرةِ[2] لذنوبهم بفَضْلِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولا شيءَ كمِثْلِه.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِّ لِيُظْهِرَه على الدِّينِ كُلِّه، وخُيِّرَ[3] بينَ أنْ يكونَ ملِكاً نبيًّا أوْ عبداً رسولاً، فاختارَ مقامَ العُبوديَّةِ معَ رُسُلِه، فكانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِني مسكيناً، وأَمِتْني مسكيناً، واحشُرْني في زُمْرَةِ المساكينِ»[4]؛ لشرَفِ هذا المقامِ وفَضْلِه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبه، والمسْتَمْسِكينَ من بعدهم بِحَبْلِه.

---

(١) هذه المقدمة من (ع) وحدها.

(٢) في (س): «المستغفرين».

(٣) في (ع): «وخَيَّره».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى مدَحَ في كتابِه المُخْبِتِينَ له، والمُنكسِرينَ لعظَمَتِه والخاضِعينَ، فقالَ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ووصَفَ المؤمنين بالخُشوعِ له في أشرفِ عباداتِهمُ الَّتي هُمْ عليها يُحافِظون، فقالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

ووصَفَ الَّذينَ أوتوا العلمَ بالخُشوعِ، حيثُ يكونُ لهمْ كلامُه سبحانَه مسموعاً، فقالَ تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وأصلُ الخُشوعِ: هو لِينُ القلبِ، ورِقَّتُه، وسُكونُه، وخضوعُه، وانكسارُه، وحُرْقَتُه، فإذا خشَعَ القلبُ تبِعَه خشوعُ جميعِ الجوارحِ والأعضاءِ؛ لأنَّها تابعةٌ له؛ كما قالَ ﷺ: «ألَا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً، إذا صلَحَتْ صلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهِيَ القلبُ»(١). فإذا خشَعَ القلبُ خشَعَ السَّمعُ والبصرُ والرَّأسُ والوجهُ وسائرُ الأعضاءِ وما ينشَأُ منها، حتَّى الكلامُ، ولِهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ في ركوعِه(٢) في الصَّلاةِ: «خشَعَ لكَ سمعي وبصَري ومُخِّي وعِظامي وعَصَبي»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أشار ناسخ (س) إلى وجود نسخة فيها: «وسجوده».

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) والإمام أحمد (٧٢٩) واللفظ له. من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وسقط من النسخ كلها: «وعصبي»، وهو لحق في (س) موافق لما في المصادر.

وفي روايةٍ: «وما استقلَّتْ به قَدَمي»(١).

ورأى بعضُ السَّلَفِ رجلاً يعبَثُ بيدِه في صلاته، فقالَ: «لوْ خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارحُه».

ورُوِيَ ذلكَ عنْ حُذيفةَ(٢)، وسعيدِ بنِ المسيَّبِ(٣)، ويُروى مرفوعاً، لكِنْ بإسنادٍ لا يصِحُّ(٤).

قالَ المسعوديُّ عنْ أبي سِنانٍ، عمَّنْ حدَّثَه عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قالَ: هوَ الخشوعُ في القلبِ، وأنْ تُلِينَ كنَفَكَ للمرءِ المسلمِ، وأنْ لا تلتَفِتَ في صلاتِكَ(٥).

وقالَ عطاءُ بنُ السَّائبِ عنْ رجلٍ، عنْ عليٍّ: الخشوعُ خشوعُ القلبِ، وأنْ لا تلتفِتَ يميناً ولا شمالاً(٦).

وقالَ عليُّ بنُ أبي طلحةَ: عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قالَ: خائفونَ ساكنون(٧).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٩٦٠)، وابن حبان (١٩٠١).

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٨٥٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٠٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١).

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٢٤) و(١٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، ونبّه المصنف أنه «لا يصح».

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٢٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

(٦) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٩). وفي (ش) و(س): «وشمالاً».

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٠).

وقالَ ابنُ شَوْذَبٍ: عنِ الحسنِ: كانَ الخشوعُ في قلوبِهم، فغضُّوا له البصرَ، وخفَضوا له الجناحَ[١].

وقالَ منصورٌ: عنْ مجاهدٍ: هوَ الخشوعُ في القلبِ، والسُّكونُ في الصَّلاةِ[٢].

وقالَ ليثٌ: عنْ مجاهدٍ: مِنْ ذلكَ خَفْضُ الجَناحِ، وغضُّ البصَرِ[٣].

وكانَ المسلمونَ إذا قامَ أحدُهُمْ إلى الصَّلاةِ خافَ ربَّه أنْ يلتفِتَ عنْ يمينِه أوْ شمالِه.

وقالَ عطاءٌ الخُراسانيُّ: الخُشوعُ خشوعُ القلبِ والطَّرْفِ[٤].

وقالَ الزُّهريُّ: هوَ سكونُ العبدِ في صلاتِه[٥].

وعنْ قتادةَ قالَ: الخشوعُ في القلبِ هوَ الخوفُ، وغضُّ البصَرِ في الصَّلاةِ[٦].

وقالَ ابنُ أبي نَجيحٍ: عنْ مجاهدٍ في قولِه تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال: مُتواضِعين[٧].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩). وليس عندهما الجملة الأولى منه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٢٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٤) «تفسير عطاء الخراساني» (٢٧٩) ضمن جزء فيه «تفسير القرآن» برواية أبي جعفر الترمذي.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٨).

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١٠/ ٥٥٩)، والذي في الطبري (١٧/ ٩) قوله: الخشوع في القلب.

(٧) هو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٧٤).

وقدْ وصَفَ اللهُ سبحانه في كتابِه الأرضَ بالخُشوعِ، فقالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فاهتزازُها ورُبُوُّها ـ وهوَ ارتفاعُها ـ مُزيلٌ لخشوعِها[١].

فدلَّ على أنَّ الخشوعَ الذي كانتْ عليه هوَ سكونُها وانخفاضُها، وكذلكَ القلبُ إذا خشَعَ، فإنَّه تَسْكُنُ خواطرُه وإراداتُه الرَّديَّةُ الَّتي تنشأُ مِنِ اتِّباعِ الهوى، وينكسِرُ ويخضَعُ للهِ عزَّ وجلَّ، فيزولُ بذلكَ ما كانَ فيه مِنَ البأوِ[٢] وَالتَّرَفُّعِ والتَّعاظُمِ والتَّكبُّرِ، ومتى سكَنَ ذلكَ في القلبِ خشَعَتِ الأعضاءُ والجوارحُ والحرَكاتُ كلُّها، حتَّى الصَّوتُ.

وقدْ وصَفَ اللهُ الأصواتَ بالخُشوعِ في قولِه: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، فخشوعُ الأصواتِ هوَ سكونُها وانخفاضُها بعدَ ارتفاعِها.

وكذلكَ وصَفَ وجوهَ الكُفَّارِ وأبصارَهمْ في يومِ القيامةِ بالخشوع، فدلَّ ذلكَ على دخولِ الخُشوعِ في هذه الأعضاءِ كُلِّها.

ومتى تكلَّفَ الإنسانُ تعاطي الخشوعِ في جوارحِه وأطرافِه معَ فراغِ قلبِه مِنَ الخُشوعِ وخُلُوِّه منه، كانَ ذلكَ خشوعَ نِفاقٍ، وهو[٣] الَّذي كانَ السَّلَفُ يستعيذونَ منه.

---

(١) في (س): «فاهتزازها وربوها هو ارتفاعها، وهو مزيل لخشوعها».

(٢) البأو: الفخر.

(٣) في (س): «وهذا».

كما قالَ بعضُهم: استعيذوا باللهِ مِنْ خُشوعِ النِّفاقِ، قالوا: وما خُشوعُ النِّفاقِ؟ قالَ: أنْ ترى الجسَدَ خاشعاً. والقلبُ ليسَ بخاشعٍ(١).

ونظَرَ عمرُ رضي الله عنه إلى شابٍّ قدْ نكَّسَ رأسَه، فقالَ له: يا هذا! ارفَعْ رأسَكَ، فإنَّ الخُشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ، فمَنْ أظهَرَ لِلنَّاسِ خُشوعاً فوقَ ما في قلبِه فإنَّما هوَ نفاقٌ على نفاقٍ(٢).

---

(١) أخرجه من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٤٣)، وابن أبي شيبة (٣٦٨٦١)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (٧٦٢)، ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٧).

وروي نحوه مرفوعاً من حديث أبي بكر رضي الله عنه: عند الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٢٣)، (١٣٠٤). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٨).

وروي هذا المعنى عن جماعة من السلف رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٦٩١) (٣١٩١) ولفظه: «فإنما أظهر نفاقاً على نفاق»، ومن طريقه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٢٥٨).

* تنبيه: يُذكر في كتب الأدب: أن عمر رضي الله عنه نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنسك متماوت، فخفقه بالدرة، وقال: «لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله».

فأقدم من ذكره: المبرد في «الكامل» (٢/ ١٢٢)، وذكره أبو موسى المديني في «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (٣/ ٢٤٠)، وذكر أيضاً لفظاً آخره: أنه رأى رجلاً يمشي مطأطئاً، فقال: «ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض».

ولم أجد لهما سنداً فيما رجعت إليه من المصادر. ولكن ذم التماوت أمر مقرَّر، وهو إظهار التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم، وهي صفة المرائي بنسكه الذي يتكلف التزمت وتسكين الأطراف كأنه ميت ـ انظر: «الفائق» للزمخشري (حزق)، و«النهاية» لابن الأثير (موت) ـ. وورد في ذم التماوت حديث أبي سلمة: (لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزِّقين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حماليق عينيه كأنه مجنون). أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٥). المتحزِّق: المتقبِّض.

وأصلُ الخُشوعِ الحاصلِ في القلبِ إنَّما هوَ مِنْ معرفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومعرفةِ عظَمَتِه وجلالِه وكمالِه، فمَنْ كانَ باللهِ أعرَفَ فهوَ له أخشَعُ.

وتتفاوتُ القلوبُ في الخُشوعِ بحسَبِ تفاوتِ معرِفَتِها لمَنْ خشَعَتْ له، وبحسَبِ تفاوُتِ مشاهدةِ القلوبِ للصِّفاتِ المُقتضيةِ للخُشوعِ:

فمِنْ خاشِعٍ لقوَّةِ مطالعتِه لِقُرْبِ اللهِ مِنْ عبدِه، واطِّلاعِه على سِرِّه وضميرِه المُقتضي للاستحياءِ مِنَ اللهِ تعالى، ومُراقبتِه في الحرَكاتِ والسَّكناتِ.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه لجلالِ اللهِ وعظمَتِه وكبريائِه المُقتضِي لهَيْبَتِه.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه لكمالِه وجمالِه المُقتضِي للاستغراقِ في محبَّتِه، والشَّوقِ إلى لقائِه ورُؤيتِه.

ومِنْ خاشِعٍ لِمُطالعتِه شِدَّةَ بَطْشِه وانتقامِه وعقابِه المُقتضِي للخوفِ منه.

وهوَ سبحانه وتعالى جابِرُ القلوبِ المُنكسِرَةِ لأجلِه، وهوَ سبحانه وتعالى يتقرَّبُ مِنَ القلوبِ الخاشعةِ له، كما يتقرَّبُ مِمَّنْ هو قائم يُناجيه في الصَّلاةِ، ومِمَّنْ يُعَفِّرُ له وجهَه في التُّرابِ بالسُّجودِ.

كما يتقرَّبُ مِنْ وَفْدِه وزُوَّارِ بيتِه الواقفينَ بينَ يديه المُتضرِّعينَ إليه في الوقوفِ بعرفةَ، ويدنو ويُباهي بهمُ الملائكةَ.

وكما يتقرَّبُ مِنْ عِبادِه الدَّاعينَ له السَّائلينَ له المُسْتغفِرينَ مِنْ ذنوبِهم بالأسحارِ، ويُجيبُ دُعاءَهمْ، ويُعطيهمْ سُؤْلَهم، ولا جَبْرَ لانكسارِ العبدِ أعظمُ مِنَ القُرْبِ والإجابةِ[1].

---

(١) كتب في حاشية (س): «لعلها: والإنابة».

وروى الإمامُ أحمدُ في كتابِ «الزُّهدِ» بإسنادِه عنْ عمرانَ القصيرِ قالَ: قالَ موسى بنُ عمرانَ عليه السلام: أيْ ربِّ[1]! أينَ أَبْغيكَ؟ قالَ: ابْغِني عندَ المُنْكسِرَةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِي، إنِّي أدنو منهمْ كلَّ يومٍ باعاً، ولولا ذلكَ لانهدَموا[2].

وروى إبراهيمُ بنُ الجُنَيدِ في كتابِ «المحبَّةِ» بإسنادِه عنْ جعفرِ بنِ سليمانَ قالَ: سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ قالَ: قالَ موسى بنُ عمرانَ عليه السَّلامُ: إلهيَ أينَ أبغيكَ؟ فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: أنْ يا موسى! ابغِني عندَ المُنكسِرةِ قلوبُهمْ مِنْ أجلِي، فإنِّي أدنو منهمْ في كلِّ يومٍ وليلةٍ[3] باعاً، ولولا ذلكَ لانهدموا.

قالَ جعفرٌ: فقلتُ لمالكِ بنِ دينارٍ: كيفَ المُنكسِرةُ قلوبُهمْ؟ فقالَ: سألتُ الذي قرأ في الكتبِ، فقالَ: سألتُ الَّذي سألَ عبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ فقالَ: سألتُ عبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ عنِ المُنكسِرةِ قلوبُهمْ: ما يَعني؟ قالَ: المُنكسِرةُ قلوبُهمْ بحُبِّ اللهِ عزَّ وجلَّ عنْ حُبِّ غيرِه[4].

وقدْ جاءَ في السُّنَّةِ الصَّحيحةِ ما يَشهَدُ لقربِ اللهِ مِنَ القلبِ المُنْكسِرِ ببلائِه، الصَّابرِ على قضائِه، أو الرَّاضي بذلكَ؛ كما في «صحيحِ مسلمٍ» عن أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدمَ! مرِضْتُ فلمْ تعُدْني، قالَ: يا ربِّ! كيفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أما علِمْتَ أنَّ عبدي فلاناً مرِضَ فلمْ تعُدْه؟ أما علِمْتَ أنَّك لوْ عُدْتَه لوجدتني عندَه؟!»[5].

---

(١) في (س): «يا رب»، وأشار إلى نسخة موافقة للمثبت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٧).

(٣) في كتاب «المحبة»: «أدنو منهم كل ليلة باعاً».

(٤) أخرجه أبو إسحاق الختلي وهو إبراهيم بن الجنيد في «المحبة لله» (٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٤) مختصراً.

(٥) أخرجه مطولًا مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٦٩).

وروى أبو نُعيمٍ مِنْ طريقِ ضَمْرةَ، عنْ ابنِ شَوْذَبٍ قالَ: أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السَّلامُ: أتدري لأيِّ شيءٍ اصطفيتُكَ على النَّاسِ برِسالاتي وبكلامي[1]؟ قالَ: لا، يا ربُّ، قالَ: لأنَّه لمْ يتواضَعْ لي أحدٌ قط تواضُعَكَ[2].

***

[الخشوعُ هو العلمُ النَّافع]

فصلٌ

وهذا الخُشوعُ هوَ العلمُ النَّافعُ، وهوَ أوَّلُ ما يُرفَعُ مِنَ العلمِ:

فخرَّجَ النَّسائيُّ مِنْ حديثِ جُبَيرِ بنِ نُفيرٍ، عنْ عوفِ بنِ مالكٍ: أنَّ رسول الله ﷺ نظَرَ إلى السَّماءِ يوماً، فقالَ: «هذا أوانُ يُرْفَعُ العلمُ»، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ يُقالُ له: زيادُ بنُ لَبيدٍ[3]: يا رسولَ اللهِ! يرفعُ[4] العلمُ وقدْ أُثْبِتَ ووعتْهُ القلوبُ؟ فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «إنْ كنتُ لأحسَبُكَ مِنْ أفقَهِ أهلِ المدينةِ»، وذكرَ له ضلالةَ اليهودِ والنَّصارى على ما في أيديهمْ مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فلقيتُ شدَّادَ بنَ أوسٍ، فحدَّثْتُه بحديثِ عوفِ بنِ مالكٍ، فقالَ: صدَقَ عوفٌ، ألَا أُخبرُكَ بأوَّلِ ذلكَ يُرْفَعُ؟ قلتُ: بلى، قالَ: الخشوعُ حتَّى لا ترى خاشعاً[5].

---

(١) في (ع): «وكلامي».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٥٣). وهو من أخبار أهل الكتاب كما في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٠٠).

(٣) جاء هنا على الصواب. وفي كتاب النسائي: «لبيد بن زياد»، قال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٨٥): «وقع في رواية النسائي: لبيد بن زياد، وهو مقلوب». والقلب ليس من النسائي بل ممن فوقه في السند، ونبّه عليه الطحاوي.

(٤) في (ش): «ويرفع» وفي (س): «أيرفع».

(٥) أخرجه النسائي في كتاب العلم من «السنن الكبرى» (٥٨٧٨). والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠١)، وابن حبان (٤٥٧٢).

وخرَّجه التِّرمِذِيُّ مِنْ حديثِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيرٍ، عنْ أبي الدَّرداءِ، عنِ النَّبيِّ ﷺ بنحوِه، وفي آخرِه: قالَ جُبَيرٌ: فلقيتُ عبادةَ بنَ الصَّامتِ، فقلتُ: ألَا تسمَعُ إلى ما يقولُ أخوكَ أبو الدَّرداءِ؟ فأخبرته بالَّذي قالَ أبو الدَّرداءِ، قالَ: صدَقَ أبو الدَّرداءِ، ولوْ[1] شئتَ لحدَّثْتُكَ بأوَّلِ علمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الخُشوعُ، يوشِكُ أنْ تدخُلَ المسجدَ الجامعَ[2] فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً[3].

وقدْ قيلَ: إنَّ روايةَ النَّسائيِّ أرجح[4].

وقدْ روى سعيدُ بنُ بشيرٍ، عنْ قتادةَ، عنِ الحسنِ، عنْ شدَّادِ بنِ أوسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أوَّلُ ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشوعُ»، فذكرَه[5].

ورواهُ أبو بكرِ بنُ أبي مريمَ، عنْ ضَمْرَةَ بنِ حبيبٍ مُرْسَلاً[6].

ورُوِيَ نحوُه عنْ حُذيفةَ مِنْ قولِه[7].

فالعلمُ النَّافعُ هوَ ما باشَرَ القلوبَ، فأوجَبَ لها السَّكينةَ، والخَشْيةَ، والإخباتَ للهِ عز وجل، والتَّواضعَ، والانكسارَ له.

---

(١) في (ش): «لو»، وفي الترمذي: «إن شئت».

(٢) في الترمذي: «مسجد جماعة». وفي (ع) و(م): «مسجد الجامع».

(٣) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٤) مدار الطريقين على جبير بن نفير.

(٥) أخرجه الطبراني بهذا الإسناد والمتن في «مسند الشاميين» (٢٦٣٧)، وهو في «المعجم الكبير» (٧١٨٣) من وجه آخر عن قتادة.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢٣٣٦).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٥٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٠٠٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٤٢٠).

وإذا لمْ يُباشِرِ القلوبَ ذلكَ مِنَ العلمِ[١]، وإنَّما كانَ على اللِّسانِ، فهوَ حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ، تقومُ على صاحبِه وغيرِه، كما قالَ ابنُ مسعودٍ: إنَّ أقواماً يقرؤونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيَهمْ، ولكِنْ إذا وقَعَ في القلبِ، فرسَخَ فيه نفَعَ. خرَّجَه مسلمٌ[٢].

وقالَ الحسنُ: العلمُ عِلمانِ: علمٌ باللِّسانِ، وعلمٌ بالقلبِ، فعلمُ القلبِ هوَ العلمُ النَّافعُ، وعلمُ اللِّسانِ هو حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ[٣].

ورُوِيَ عنِ الحسنِ مُرْسَلاً، عنِ النَّبيِّ ﷺ[٤].

ورُوِيَ عنه عنْ جابرٍ مرفوعاً[٥]، وعنه عنْ أنسٍ مرفوعاً[٦]، ولا يصِحُّ وصلُه.

فأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العلمَ عندَ أهلِ الكتابينِ مِنْ قَبْلِنا موجودٌ بأيديهم، ولا يَنتفعون بشيءٍ منه؛ لَمَّا فقدوا[٧] المقصودَ منه، وهو وصولُه إلى قلوبِهمْ حتَّى يجدوا حلاوةَ الإيمانِ به ومنفعتَه بحصولِ الخَشيةِ والإنابةِ به لقلوبِهمْ، وإنَّما هوَ على ألسنتِهمْ تقومُ به الحُجَّةُ عليهم.

ولهذا المعنى وصَفَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابِه العُلماءَ بالخشيةِ؛ كما قالَ

---

(١) هنا لحق في حاشية (س): «النافع». وفي (م)، و(س): «القلب».

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٢).

(٣) أخرجه الدارمي في «السنن» (٣٧٦).

(٤) أخرجه المروزي في زياداته على ابن المبارك في «الزهد» (١١٦١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٠٢)، والدارمي في «السنن» (٣٧٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٠).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٦٨). ومن طريقه: ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٨).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية» (٤٣). وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٩)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥١).

(٧) في (س): «عدموا».

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ووصَفَ العُلماءَ مِنْ أهلِ الكتابِ قَبْلَنا بالخُشوعِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

* * *

فصلٌ

وقولُه تعالى في وصفِ هؤلاءِ الَّذينَ أُوتوا العلمَ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] مدْحٌ لِمَنْ أوجَبَ له سماعُ كتابِ اللهِ الخُشوعَ في قلبِه.

وقالَ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢ ـ ٢٣].

ولِينُ القلوبِ هوَ زوالُ قسوتِها؛ بحدوثِ الخُشوعِ فيها والرِّقَّةِ.

وقدْ وبَّخَ اللهُ مَنْ لا يخشَعُ قلبُه بسماعِ كتابِه وتدبُّرِه، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قالَ ابنُ مسعودٍ: ما كانَ بينَ إسلامِنا وبينَ أنْ عوتِبْنا بهذه الآيةِ إلَّا أربعُ سنينَ. خرَّجَه مسلمٌ(١).

وخرَّجَه غيرُه، وزادَ فيه: فجعلَ المؤمنون يُعاتِبُ بعضُهمْ بعضاً(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٧).

(٢) هذه الزيادة لم أجدها بهذا اللفظ فيما وقفت عليه من طرق هذا الحديث، وإنما ذكرها الثعلبي في =

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ ابنِ الزُّبيرِ قالَ: لمْ يكنْ بينَ إسلامِهمْ وبينَ أنْ نزَلَتْ هذه الآيةُ ـ يُعاتِبُهمُ اللهُ بها ـ إلَّا أربعُ سنينَ[١].

وقدْ سمِعَ كثيرٌ مِنَ الصَّالحينَ هذه الآية تتلى[٢]، فأثَّرَتْ فيهمْ آثاراً متعدِّدةً:

فمِنهمْ مَنْ ماتَ عندَ ذلكَ؛ لانصداعِ قلبِه بها[٣].

ومنهُمْ مَنْ تابَ عندَ ذلكَ، وخرَجَ عمَّا كانَ فيه[٤]. وقدْ ذكَرْنا أخبارَهمْ في كتابِ «الاستغناءِ بالقرآنِ»[٥].

= «تفسيره» (٩/ ٢٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٦٧).

وإنما أخرجها أبو يعلى (٥٢٥٦) عن ابن مسعود في هذا الحديث بلفظ: (وأقبل بعضنا على بعض: أيَّ شيء أحدَثْنا؟ أيَّ شيء صنعنا؟).

(١) أخرجه ابن ماجه في «الزهد» (٤١٩٢). ولم يذكر فيه ابن مسعود، لكن ابن الزبير إنما يرويه عن ابن مسعود فهي راجعة إلى حديث ابن مسعود وليست حديثاً آخر فتكون من باب الشواهد!

(٢) في (س): «وقد سمعها كثير من الصالحين فبكوا»، وأشار في الحاشية إلى نسخة توافق المثبت.

ومن البكائين عند سماعها: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء. أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٢٧) من طريق أبي نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٣) من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٤٤) من موت رجلين بعدما سمع كل منهما هذه الآية.

(٤) وأشهرهم: الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى، وعبد الله ابن المبارك كما في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٠٦) وجعفر بن حرب وكان من رجال السلطان كما في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٦٩). ومن المتأخرين: الشيخ سعد الدين الجباوي رحمه الله تعالى كما في ترجمة إبراهيم بن محمد الجباوي ـ من أحفاده ـ في «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤).

(٥) «وهو الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان» وذكره المصنف أيضاً في: «نزهة الأسماع»، ولا نعلم وجوده، وقد اختصره الشيخ بحرق اليمني في كتاب سماه: «ذخيرة الإخوان»، وهذبه وزاد عليه ابن المبرد يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٩٠٩هـ) في كتابه «هداية الإنسان إلى الاستغناء =

وقالَ تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قالَ أبو عمرانَ الجَوْنيُّ: واللهِ لقدْ صرَفَ إلينا ربُّنا في هذا القرآنِ ما لوْ صرَفَه إلى الجبالِ لحتَّها وحناها[١].

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقرأُ هذه الآيةَ ثمَّ يقولُ: أقسِمُ لكمْ لا يؤمِنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلَّا صَدَّع قَلْبَه[٢].

ورُوِيَ عنِ الحسنِ قالَ: يا ابنَ آدمَ! إذا وسوسَ لكَ الشَّيطانُ بخطيئةٍ أوْ حدَّثَتْ بها نفْسَكَ فاذكُرْ عندَ ذلكَ ما حمَّلَكَ اللهُ مِنْ كتابِه ممَّا لوْ حُمِّلَتْهُ الجبالُ الرَّواسي لخشَعَتْ وتصدَّعَتْ، أمَا سمِعْتَهُ يقولُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؟![٣] [الحشر: ٢١].

فإنَّما ضرَبَ لكَ الأمثالَ لتتفكَّرَ فيها، وتعتبِرَ بها، وتزدجِرَ بها عنْ معاصي اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنتَ يا ابنَ آدمَ أحقُّ أنْ تخشَعَ لذِكْرِ اللهِ، وما حمَّلَكَ مِنْ كتابِه، وآتاكَ مِنْ حِكَمِه؛ لأنَّ عليكَ الحسابَ، ولكَ الجنَّةُ أوِ النَّارُ.

وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يستعيذُ باللهِ مِنْ قلبٍ لا يخشَعُ؛ كما في «صحيحِ مسلمٍ» عنْ زيدِ بنِ أرقمَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ علمٍ لا ينفَعُ، ومِنْ قلبٍ لا يخشَعُ، ومِنْ نفْسٍ لا تشبَعُ، ومِنْ دعوةٍ لا يُستجابُ لها»[٤].

= بالقرآن». وقد تمَّ تجريد واستخلاصُ كلام الحافظ ابن رجب من كتاب ابن عبد الهادي هذا، فجاء مجلَّداً حافلاً، وهو منشور ضمن هذا المجموع في المجلد السابع منه.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٥٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٨).

(٣) لم أجده عند غير المصنف.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

وقدْ رُوِيَ نحوُه عنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ وجوهٍ متعدِّدةٍ[١].

ويُروى[٢] عنْ كعبِ الأحبارِ قالَ: مكتوبٌ في الإنجيلِ: يا عيسى! قلبٌ لا يخشعُ: عَمَلُه[٣] لا ينفَعُ، وصوتُه لا يُسْمَعُ، ودُعاؤُه لا يُرْفَعُ[٤].

قالَ أسدُ بنُ موسى في كتابِ «الورَعِ»[٥]: حدَّثَنا مباركُ بنُ فَضَالةَ قالَ: كانَ الحسَنُ يقولُ: إنَّ المؤمنينَ لَمَّا جاءَتْهُمْ هذه الدَّعوةُ صدَّقوا بها، وأفضى يقينها[٦] إلى قلوبِهِمْ، خشَعَتْ لذلكَ قلوبُهُمْ وأبدانُهمْ وأبصارُهمْ، كنتَ واللهِ إذا رأيتَهمْ رأيتَ قوماً كأنَّهمْ رأيُ عَيْنٍ، فواللهِ ما كانوا بأهلِ جَدَلٍ، ولا باطلٍ، ولا تجلَّى إلى كتابِ اللهِ ما ليسَ في قلوبِهِمْ[٧]، ولكنْ جاءَهُمْ عنِ اللهِ أمرٌ فصدَّقوا

---

(١) ومنها: ما أخرجه أبو داود (١٥٤٣)، والنسائي (٥٥٣٦، ٥٥٣٧)، وابن ماجه (٢٥٠) (٣٨٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وما أخرجه التِّرمذيُّ (٣٤٨٢) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي (٥٤٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وفيه: «أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

وما أخرجه النسائي (٥٤٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وما أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٧٣٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (س): «وروي».

(٣) في (س): «علمه».

(٤) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) لم يصلنا من كتب أسد بن موسى الأموي، أسد السنة، المتوفى (٢١٢هـ) رحمه الله إلا كتاب «الزهد»، وأما كتاب «الورع» وكتاب «العبادة» فلم يصلا إلينا. والله أعلم.

(٦) في (س): «نفعها» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٧) في (س) و(م): «تحلَّى»، ولم ترد في مصادر التخريج.

ولعل المعنى على ما أثبتناه أن يكون: ولا ظهر من أعمالهم ما لو عُرض على كتاب الله خالف ما في قلوبهم. وإذا قرُئت الكلمة: «تحلّى» فلعل المعنى أن يكون: ولا تَزيَّن ظاهرهم بما في كتاب الله مما =

بـه، فنعَتَهُـمُ اللهُ فـي القـرآنِ أحسـنَ نَعْـتٍ، فقـالَ تعالـى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾.

قالَ الحسنُ: الهَوْنُ في كلامِ العربِ: اللِّينُ والسَّكينةُ والوَقارُ.

قـال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قـالَ: حُـلَـمـاءُ لا يَجهلـونَ، وإذا جُهِـلَ عليهـمْ حَلُمـوا، يُصاحِبـونَ عبـادَ اللهِ نهارَهـمْ بما تسـمعون[1].

ثـمَّ ذكَـرَ ليلهـمْ خيـرَ ليـلٍ، فقـالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقـان: ٦٤] ينتصِبـونَ للهِ علـى أقدامِهـمْ، ويفترِشـونَ وجوهَهـمْ لربِّهـمْ سُـجَّداً تجـري دموعُهُـمْ علـى خُدودهِـمْ فَرَقـاً مِـنْ ربِّهـمْ.

قالَ الحسنُ: لأمرٍ ما أسهَرَ ليلَهُمْ[2]، ولأمرٍ ما خَشَع له[3] نهارُهمْ.

قـالَ: ﴿والـذيـن يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] قالَ: وكلُّ شيءٍ يُصيبُ ابنَ آدمَ، ثمَّ يزولُ عنه فليسَ بغرامٍ، إنَّما الغَرامُ اللَّازمُ له ما دامَتِ السَّمواتُ والأرضُ.

قـالَ: صـدَقَ القـومُ[4]، واللهِ الَّذي لا إلـهَ إلَّا هـوَ، فعمِلوا ولـمْ يتمَنَّوا، فإيَّاكُـمْ ـ رحِمَكُمُ اللهُ ـ وهذه الأماني، فإنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِ عبْداً بالأمنيَةِ خيراً قطُّ في الدُّنيا والآخرةِ.

= يخالف قلوبهم، والله أعلم.

(١) في (ش): «يسمعون»، وفي (س): «يستمعون»، وفي بعض مطبوعات هذه الرسالة: «تسمعون»، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» و«ابن كثير» و«الدر المنثور» ولعله هو الصواب، فلذا أثبتناه، والله أعلم.

(٢) كذا جميع النسخ، وفي نسخة أزهرية برقم (١٢٧١٩): «أسهرهم ليلهم».

(٣) في (س): «أخشع»، وفي المطبوع: «أسهروا له ليلهم، ولأمر ما خشعوا له نهارهم»، وفي طبعة أخرى: «سهروا ليلهم» «خشعوا نهارهم».

(٤) في (س): «صدق القومُ اللهَ، والله» والمثبت موافق للمصادر. وضبطت في (ع): «صَدَّق».

وكانَ يقولُ: يا لها موعظةً لوْ وافَقَتْ مِنَ القلوبِ حياةً[1].

[خشوعُ الأبدانِ في أنواعِ العباداتِ]

فصلٌ

وقدْ شرَعَ اللهُ تعالى لعبادِه مِنْ أنواعِ العباداتِ ما يظهَرُ فيه خُشوعُ الأبدان النَّاشئُ عنْ خُشوعِ القلبِ وذُلِّه وانكسارِه.

[الخشوع في الصلاة]

ومِنْ أعظَمِ ما يظهَرُ فيه خُشوعُ الأبدانِ للهِ تعالى مِنَ العباداتِ: الصَّلاةُ.

وقدْ مدَحَ اللهُ تعالى الخاشعِينَ فيها بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

وقدْ سبَقَ بعضُ ما قالَه السَّلَفُ في تفسيرِ الخُشوعِ في الصَّلاةِ.

وقالَ ابنُ لَهِيعةَ: عنْ عطاءِ بنِ دينارٍ، عنْ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي

---

(١) في (ع) بخط مغاير: «حياة لوعتها». أخرجه عبد بن حميد بطوله كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١١/ ٢٠٨)، وهو في «مختصر قيام الليل للمروزي» (ص: ٤٢) كذلك.

وأخرج مواضع منه، من وجوه عنه:

يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٨٩)، ومن طريقه: الطبري (١٧/ ٤٩٢).

وأيضاً: ابن المبارك في «الزهد» (١٢٠٦)، ووكيع في «الزهد» (٤١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٦٦)، وأحمد في «الزهد» (١٥٨٢) (١٦٥٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٦٠٤)، وابن أبي الدنيا في «الحلم» (١٠)، (١٩) وفي «صفة النار» (٢٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٣٥٧) (١٥٣٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٩٤).

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢]، يعني: مُتواضعينَ، لا يعرِفُ مَنْ عنْ يمينِه، ولا مَنْ عنْ شمالِه، ولا يلتفِتُ مِنَ الخُشوعِ للهِ عزَّ وجلَّ[١].

وقالَ ابنُ المباركِ: عنْ أبي جعفرٍ، عنْ ليثٍ، عنْ مُجاهدٍ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قالَ: القُنوتُ الرُّكود[٢]، والخُشوعُ غضُّ البصَرِ، وخَفْضُ الجَناحِ مِنْ رَهْبَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قالَ: وكانَ العلماءُ إذا قامَ أحدُهُمْ في الصَّلاةِ هابَ الرَّحمنَ عزَّ وجلَّ أنْ يشُدَّ نظَرَهُ، أوْ يلتَفِتَ، أوْ يقلِّبَ الحصى، أوْ يعبَثَ بشيءٍ، أوْ يُحَدِّثَ ـ يعني: نفْسَه ـ بشيءٍ مِنْ أمرِ الدُّنيا إلَّا ناسياً ما دامَ في صلاتِه[٣].

وقالَ منصورٌ: عنْ مجاهدٍ في قولِه تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قالَ: الخُشوعُ في الصَّلاةِ[٤].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ الفَضْلِ بنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الصَّلاةُ مَثْنَى مَثْنَى، تشهَّدُ في كلِّ ركعتين[٥]، وتخشَّعُ، وتضرَّعُ،

---

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٠). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٤٧) في تفسير سورة الأحزاب إلى ابن أبي حاتم.

(٢) في (ش) و(م): «الركون» وفي (س): «التؤدة». وفي «الزهد»: «الركوع»، والمثبت من (ع). «الركود» أي: السكون والثبات، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٧٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٢). وأخرجه جماعة من طرق عن ليث. وفي «الحلية»: «أن يشذ نظرُه» وأثبتت كذلك في بعض مطبوعات الكتاب.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٢).

(٥) في هامش (س): «ركعة»، وهو تصحيف.

وتَمَسْكَنُ، وتُقنِعُ يديكَ»، يقولُ: «ترفَعُهُما إلى ربِّكَ عزَّ وجلَّ وتقولُ: يا ربِّ! يا ربِّ! ثلاثاً، فمَنْ لمْ يفعَلْ ذلكَ فهِيَ خِداجٌ»(١).

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ عثمانَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما مِنِ امرئٍ مُسْلمٍ تحضُرُه صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسِنُ وُضوءَها وخُشوعَها ورُكوعَها إلَّا كانَتْ كفَّارةً لِمَا قَبْلَها مِنَ الذُّنوبِ ما لمْ تؤتَ كبيرةٌ، وذلكَ الدَّهرَ كلَّه»(٢).

[وضعُ اليدينِ إحداهما على الأخرى حالَ القيامِ]

فمِمَّا يظهَرُ فيه الخُشوعُ والذُّلُّ والانكسارُ مِنْ أفعالِ الصَّلاةِ: وَضْعُ اليدينِ إحداهما على الأخرى في حالِ القِيامِ.

وقدْ رُوِيَ عنِ الإمامِ أحمدَ أنَّه سُئِلَ عنِ المُرادِ بذلكَ، فقالَ: هوَ ذُلٌّ بينَ يدَيْ عزيزٍ.

قالَ عليُّ بنُ محمَّدٍ المصريُّ الواعظُ: ما سمعتُ في العلمِ بأحسنَ مِنْ هذا(٣).

ورُوِيَ عنْ بشرٍ الحافيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى قالَ: أشتهي منذُ أربعينَ سنةً أنْ أضَعَ يداً على يدٍ في الصَّلاةِ، ما يمنعُني مِنْ ذلكَ إلَّا أنْ أكونَ قدْ أظهرْتُ مِنَ الخُشوعِ ما ليسَ في قلبي(٤) مثلُه(٥).

وروى محمَّدُ بنُ نصرٍ المَرْوَزِيُّ بإسنادِه عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٦٩٩)، والترمذي في الصلاة (٣٨٥). ولفظ «فهي خداج» مدرج في هذه الرواية من رواية أخرى للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨).

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٣) بلفظ: «ذل بين يدي عز».

(٤) «قلبي» سقطت من النسختين، وأثبتت في (م) وحاشية (س). وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٧٦).

يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ على قَدْرِ صنيعِهِمْ في الصَّلاةِ. وفسَّرَه بعضُ رُواتِه فقَبَضَ شمالَه بيمينِه، وانحنى هكذا[١].

وبإسنادِه عنْ أبي صالحٍ السَّمَّانِ قالَ: يُبْعَثُ النَّاسُ يومَ القيامةِ هكذا، ووضَعَ إحدى يديه على الأخرى[٢].

ومُلاحظةُ هذا المعنى في الصَّلاةِ يُوجِبُ للمصلِّي أنْ يتذكَّرَ وُقوفَه بينَ يدي اللهِ تعالى للحِسابِ.

كانَ ذو النُّونِ يقولُ في وَصْفِ العُبَّاد: لوْ رأيتَ أحدَهُمْ وقدْ قامَ إلى صلاتِه، فلمَّا وقَفَ في مِحْرابِه، واستفتَحَ كلامَ سيِّدِه خطَرَ على قلبِه أنَّ ذلكَ المَقامَ هوَ المَقامُ الَّذي يقومُ النَّاسُ فيه لربِّ العالمينَ، فانخلَعَ قلبُه، وذهَلَ عقلُه. خرَّجَه أبو نُعَيمٍ[٣].

[عدم الالتفات]

ومِنْ ذلكَ: إقبالُه على الله عز وجل، وعدَمُ التفاتِه إلى غيرِه، وهو نوعانِ:

أحدُهما: عدَمُ التفاتِ قلبِه إلى غيرِ مَنْ هُوَ مُناجٍ له، وتفريغُ القلبِ للربِّ عزَّ وجلَّ.

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عنْ عمرِو بنِ عَبَسةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه ذكَرَ فضْلَ الوُضوءِ وثوابَه ثمَّ قالَ: «فإنْ هوَ قامَ فصلَّى، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ومجَّدَه بالَّذي هوَ أهلُه، وفرَّغَ قلبَه للهِ إلَّا انصرَفَ مِنْ خطيئتِه كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ»[٤].

---

(١) في النسخ: «بقبض»، والمثبت من (م)، أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٣١)، والذي فسره بذلك الإمام الحافظ أبو النضر هاشم بن القاسم الليثي.

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٣٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه مسلم (٨٣٢) في حديث أوله: «ما منكم رجلٌ يَقرَّبُ وضوءه...».

والثَّاني: عدمُ الالتفاتِ بالبصر[١] يميناً وشمالاً، وقَصْرُ النَّظَرِ على موضعِ السُّجودِ، وهوَ مِنْ لوازمِ الخُشوعِ للقلبِ وعدمِ التفاتِه.

ولهذا رأى بعضُ السَّلَفِ مُصَلِّياً يعبَثُ في صلاتِه، فقالَ: لوْ خشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جوارِحُهُ. وقدْ سبَقَ ذِكْرُهُ.

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ ابنِ سيرينَ، عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ النبي ﷺ يلتَفِتُ في صلاتِه عنْ يمينِه وعنْ شمالِه[٢]، ثمَّ أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، فخشَعَ رسولُ اللهِ ﷺ فلَمْ يكُنْ يلتفِتُ يَمْنةً ولا يَسْرَةً[٣].

ورواهُ غيرُه عنِ ابنِ سيرينَ مُرْسَلاً، وهوَ أصحُّ[٤].

وخرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ أمِّ سلمةَ أمِّ المؤمنينَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ النَّاسُ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصلِّي لمْ يعْدُ بصرُه مَوْضِعَ قدميه، فتُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ، فكان أبو بكر، فكانَ النَّاسُ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصَلِّي لمْ يعْدُ بصرُه موضِعَ جبينِه، فتُوُفِّيَ أبو بكرٍ، فكانَ عُمَرُ، فكانَ النَّاسُ إذا قامَ أحدُهُمْ يُصَلِّي

---

(١) في (ش) و(س): «بالنظر».

(٢) في (ع) و(ش) و(م): «يساره». والمثبت من (س) موافق لما في الطبراني.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٨٢). وروي مرفوعاً بلفظ آخر عند الحاكم (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٣).

(٤) ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٥٥٦) من أخرجه مرسلًا من وجوه عن ابن سيرين، فذكر منهم: سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبا داود في «مراسيله» (٤٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٨٣)، وهو عند المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٧).

لـمْ يعْـدُ بصَـرُ أحدِهِمْ موضِعَ القبلـةِ، وكانَ عثمـانُ بنُ عفَّـانَ فكانَتِ الفِتْنَـةُ، فالتفَتَ النَّاسُ يميناً وشـمالاً[1].

وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالَتْ: سألتُ النبيَّ ﷺ عنِ الالتفاتِ في الصَّلاةِ، فقالَ: «هوَ اختلاسٌ يختَلِسُهُ الشَّيطانُ مِنْ صلاةِ العبدِ»[2].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والنَّسائيُّ مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يزالُ اللهُ مُقْبِلاً على العَبْدِ في صلاتِه ما لمْ يلتَفِتْ، فإذا التفَتَ انصرَفَ عنه»[3].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ الحارثِ الأشعريِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ أمَرَ يحيى بنَ زكريَّا ـ عليهما السَّلامُ ـ بخمسِ كلِماتٍ أنْ يعمَلَ بهنَّ، ويأمُرَ بني إسرائيلَ أنْ يعمَلوا بهنَّ، فذكَرَ منها: وآمرُكُمْ بالصَّلاةِ، فإنَّ اللهَ ينصِبُ وجهَه لوجهِ عبدِه ما لمْ يلتَفِتْ، فإذا صلَّيْتُمْ فلا تلتَفِتوا»[4].

وفي المعنى أحاديثُ أخَرُ متعدِّدَةٌ.

وقالَ عطاءٌ: سمعتُ أبا هريرةَ رضي الله عنه يقولُ: إذا صلَّى أحدُكُمْ فلا يلتَفِتْ، فإنَّه يُناجي ربَّه، إنَّ ربَّه أمامَه، وإنَّه يُناجيهِ فلا يلتَفِتْ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٤)، وفي (ع) و(م): «فتلفت الناس».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٠٨)، والنسائي في «المساجد» (١١٩٥)، وأبو داود في «الصلاة» (٩٠٦) واللفظ له.

(٤) أخرجه مطولًا الإمام أحمد (١٧١٧٠) واللفظ له، والترمذي في الأدب (٢٨٦٣). وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

وقالَ عطاءٌ: بلَغَنا أنَّ الربَّ عزَّ وجلَّ يقولُ: يا ابنَ آدمَ! إلى مَنْ تلتفِتُ؟ أنا خيرٌ لكَ مِمَّنْ تلتَفِتُ إليهِ.

وخرَّجَه البزَّارُ وغيرُه مرفوعاً[١]، والموقوفُ أصحُّ[٢].

وقالَ أبو عِمران الجَوْنِيُّ: أوحى اللهُ عز وجل إلى موسى عليه السَّلامُ: يا موسى! إذا قُمْتَ بينَ يديَّ، فقُمْ مَقامَ العبدِ الحقيرِ الذَّليلِ، وذُمَّ نفْسَكَ، فهيَ أولى بالذَّمِّ، وناجِني بقلبٍ وجِلٍ، ولسانٍ صادقٍ[٣].

[الركوع]

ومِنْ ذلكَ: الرُّكوعُ، وهوَ ذُلٌّ بظاهِرِ الجسَدِ، ولهذا كانتِ العربُ تأنَفُ منه ولا تفعَلُه.

حتَّى بايعَ بعضُهمُ النَّبيَّ ﷺ على أنْ لا يَخِرَّ إلَّا قائماً[٤]، يعني: أنْ يسجُدَ مِنْ غيرِ ركوعٍ. كذلكَ فسَّرَهُ الإمامُ أحمدُ والمحقِّقونَ مِنَ العلماءِ[٥].

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

---

(١) زاد في (س): «وموقوفاً» والذين رووه موقوفاً هم غير البزار. وفي (ش) و(س): «بلغنا أن الله».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٥٧٢) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه، وآخره من كلام عطاء. وأخرجه مرفوعاً: البزار (٩٣٣٢) والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٤٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٤٨).

(٤) أخرج الإمام أحمد في «المسند» (١٥٣١٢)، والنسائي (١٠٨٤) وغيرهما: أن حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أَخِرَّ إلا قائماً.

(٥) ذكر ذلك عن الإمام أحمد: ابن قدامة في «المغني» (١٣/ ٢٥٥) في غير مظنته، وهذا التفسير لمعنى الحديث لم يذكره الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ١٩٦).

وتمامُ الخُضوعِ في الرُّكوعِ: أنْ يخضَعَ القلبُ للهِ ويذِلَّ له، فيتِمَّ بذلكَ خضوعُ العبدِ بباطنِه وظاهرِه للهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ في ركوعِه: «خشَعَ لَكَ سَمْعِي وبصَري ومُخِّي وعِظامي وعصبي وما استقلَّ به قَدَمِي»[(١)]؛ إشارةً إلى أنَّ خُشوعَه في ركوعِه قدْ حصَلَ بجميعِ جوارحِه، ومِنْ أعظمِها القلبُ الَّذي هوَ مِلكُ الأعضاءِ والجوارحِ، فإذا خشَعَ القلبُ خشَعَتِ الجوارح والأعضاءُ كلُّها تبَعاً له ولخشوعِه[(٢)].

[السجود]

ومِنْ ذلكَ: السُّجودُ، وهوَ أعظمُ ما يظهَرُ فيه ذُلُّ العبدِ لربِّهِ عزَّ وجلَّ، حيثُ جعَلَ العبدُ أشرفَ ما له مِنَ الأعضاءِ، وأعزَّها عليه، وأعلاها حقيقةً أوضعَ ما يُمكِنُه، فيضعُه في التُّرابِ مُتَعَفِّرًا[(٣)]، ويُتْبِعُ ذلكَ بانكسارِ القلبِ، وتواضعِه، وخُشوعِهِ للهِ عزَّ وجلَّ.

ولهذا كانَ جزاءُ المؤمنِ إذا فعَلَ ذلكَ أنْ يقرِّبَه اللهُ إليه، فإنَّ «أقربَ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّه وهوَ ساجدٌ»؛ كما صحَّ ذلكَ عنِ النَّبيِّ ﷺ[(٤)].

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

والسُّجودُ أيضاً مِمَّا كانَ يأنَفُ منه المشركونَ المستكبِرونَ عنْ عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

---

(١) تقدم تخريجه في أول الرسالة. وفي المصادر: «وما استقلت».

(٢) في (ع): «تبعاً لخشوعه».

(٣) في (م): «على التراب متعفراً» وفي (س): «معفّراً». والعفَر: ظاهر تراب الأرض، وعفَّر الشيء: إذا مرَّغه في التراب. (مقاييس اللغة) لابن فارس (مادة: عفر). وهو هنا كناية عن كمال الذل والعبودية لله تعالى.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكانَ بعضُهُمْ يقولُ: أكرَهُ أنْ أسجُدَ فتعلوني اسْتِي[١].

وكانَ بعضُهُمْ يأخذُ كفًّا مِنْ حصىً فيرفَعُه إلى جبهتِه، ويكتفي بذلكَ عنِ السُّجودِ[٢].

وإبليسُ إنَّما طرَدَه اللهُ عز وجل لَمَّا استكبرَ عنِ السُّجودِ لِمَنْ أمرَه اللهُ بالسُّجودِ له.

ولهذا يبكي إذا سجدَ المؤمن[٣]، ويقولُ: أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ ففعَلَ، فله الجنَّةُ، وأُمِرْتُ بالسُّجودِ فعصَيتُ، فلي النَّارُ[٤].

ومِنْ تمامِ خُشوعِ العبدِ للهِ عز وجل وتواضُعِه له في ركوعِه وسجودِه: أنَّه إذا ذَلَّ لربِّه بالركوعِ والسُّجودِ، ووصَفَ ربَّه حينئذٍ بصِفاتِ العزِّ والكِبْرِياءِ والعظَمَةِ والعُلُوِّ، فكأنَّه يقولُ: الذُّلُّ والتَّواضُعُ وصْفِي، والعُلُوُّ والعظمَةُ والكِبْرِياءُ وصْفُكَ.

ولِهذا شُرِعَ للعبدِ في ركوعِه أنْ يقولَ: «سُبحانَ ربِّيَ العظيمِ»، وفي سجودِه: «سبحانَ ربِّيَ الأعلى».

---

(١) أخرج ذلك: ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٤٠٥) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٨٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ١٦٥).

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٧٧٦) من وجه آخر، وذكره المصنف في «فتح الباري» (٥/ ٣٠٢) وقال: خرّجه الإمام أحمد بإسناد فيه ضعف.

(٢) كما أخرج البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ (النجم) بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصى أو تراب، فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. والشيخ: هو أمية بن خلف الذي قُتِل كافراً، كما في البخاري (٤٨٦٣).

(٣) في (س): «ابن آدم».

(٤) أخرجه مسلم (٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ أحياناً يقولُ في سُجودِه: «سُبحانَ ذي الملَكُوتِ[١] والجَبَروتِ والكِبْرِياءِ والعظَمَةِ»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قالَ ليلةً في سُجودِه: «أقولُ كما قالَ أخي داودُ عليه السَّلامُ: أُعَفِّرُ وجهي في التُّرابِ لسيِّدي، وحُقَّ لوجهِ سيِّدي أنْ تُعَفَّرَ الوجوهُ لوجهِه»[٣].

قالَ الحسنُ: إذا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ فقُمْ قانِتاً كما أمَرَكَ اللهُ، وإيَّاكَ والسَّهْوَ والالتفاتَ أنْ ينظُرَ اللهُ إليكَ وتنظُرَ إلى غيرِه، وتسألَ اللهَ الجنَّةَ، وتعوذَ به مِنَ النَّارِ وقلبُكَ ساهٍ، لا تدري ما تقولُ بلسانكَ. خرَّجَه محمَّدُ بنُ نصرٍ المَرْوَزِيُّ[٤].

وروى بإسنادِه عنْ عثمانَ بنِ أبي دَهْرَشٍ قالَ: بلغَني أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى صلاةً جهَرَ فيها بالقراءةِ، فلمَّا فرَغَ قالَ: «هلْ أسقطتُ مِنْ هذه السُّورةِ شيئاً؟»، قالوا: لا ندري، فقالَ أبيُّ بنُ كعبٍ: نعَمْ، آيةَ كذا وكذا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يُتْلَى عليهمْ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ فلا يدرونَ ما يُتْلى منه مِمَّا تُرِكَ؟ هكذا خرَجَتْ عظَمَةُ اللهِ مِنْ قلوبِ بني إسرائيلَ، فشَهِدَتْ أبدانُهُمْ، وغابَتْ قلوبُهُمْ، ولا يقبَلُ اللهُ مِنْ عَبْدٍ عمَلاً حتَّى يشهَدَ بقلبِه معَ بدنِه»[٥].

---

(١) في (س): «ذي الملك والملكوت». وكانت مثبتة في (ش) ثم طمست. ولا توجد في المصادر.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٦٩)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٤)، والنسائي (١١٣٢) وغيرهم، بتقديم الجبروت على الملكوت.

(٣) أخرجه مطولًا: الطبراني في «الدعاء» (٦٠٦)، والدارقطني في «النزول» (٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٥٧)، وفي «الدعوات الكبير» (٥٣١)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧) واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها. يروى عنها من وجهين. والليلة هي ليلة النصف من شعبان.

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٤٠).

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٧). وعثمان بن أبي دهرش: تابعي.

والآثارُ في هذا المعنى كثيرةٌ جِدًّا.

ومرَّ عصامُ بنُ يوسفَ بحاتمٍ الأصمِّ وهوَ يتكلَّمُ في مجلسِه، فقالَ: يا حاتِمُ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قالَ: نعمْ، قالَ: كيفَ تُصَلِّي؟ قالَ حاتمٌ: أقومُ بالأمرِ، وأمشي بالخَشْيَةِ، وأدخُلُ بالنِّيَّةِ، وأكبِّرُ بالعظَمَةِ، وأقرأُ بالترسل والتَّفكُّرِ، وأركَعُ بالخُشوعِ، وأسجُدُ بالتَّواضُعِ، وأجلِسُ للتَّشهُّدِ بالتَّمامِ، وأسَلِّمُ بالسَّبيلِ والسُّنَّةِ، وأُسْلِمُها بالإخلاصِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وأرجِعُ على نفْسي بالخوفِ، وأخافُ أنْ لا يُقْبَلَ منِّي، وأحفَظُه بالجهدِ إلى الموتِ. قالَ: تكلَّمْ، فأنتَ تُحْسِنُ تُصَلِّي[1].

[الخشوع في الدعاء]

فصلٌ

ومِنْ أنواعِ العباداتِ الَّتي يظهَرُ فيها الذُّلُّ والخضوعُ[2] للهِ عزَّ وجلَّ: الدُّعاءُ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمِمَّا يظهَرُ فيه الذُّلُّ من الدُّعاءِ: رفعُ اليَدينِ.

وقدْ صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ رفْعُ يديهِ في الدُّعاءِ في مواطنَ كثيرةٍ، وأعظَمُها في الاستسقاءِ، فإنَّه كانَ يرفَعُ فيه يديه حتَّى يُرى بياضُ إِبْطَيْهِ[3]، وكذلكَ كانَ يجتهِدُ في الرَّفْعِ عشيَّةَ عرفةَ بعرفةَ[4].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٤).

(٢) في (س): «الخشوع والذل».

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرج النسائي (٣٠١١) من حديث أسامة بن زيد قال: كنت رديف النبي ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته، فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى.

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يدعو بعرفةَ ويداه إلى صَدْرِه كاستِطْعامِ المسكينِ(١).

وقدْ كانَ بعضُ الخائفينَ يجلِسُ باللَّيلِ ساكتاً مُطْرِقًا برأسَه(٢)، ويمدُّ يديهِ كحالِ السَّائلِ(٣). وهذا مِنْ أبلَغِ صفاتِ الذُّلِّ وإظهارِ المسْكَنَةِ والافتقارِ.

ومِنْ ذلكَ أيضاً: افتقارُ القلبِ في الدُّعاءِ، وانكسارُه للهِ عزَّ وجلَّ، واستشعارُه شدَّةَ الفاقةِ إليه والحاجةِ، وعلى قدْرِ هذه الحُرْقَةِ والفاقةِ تكونُ إجابةُ الدُّعاءِ.

وفي «المسندِ» و«التِّرمِذِيِّ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءَ قلبٍ غافلٍ لاهٍ»(٤).

ومِنْ ذلكَ: إظهارُ الذُّلِّ باللِّسانِ في نفْسِ السُّؤالِ، والدُّعاءِ والإلحاحِ فيه.

قالَ الأوزاعيُّ: كانَ يُقالُ: أفضلُ الدُّعاءِ الإلحاحُ على اللهِ والتَّضرُّعُ إليه(٥).

وفي «الطَّبرانيِّ» عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا يومَ عرفةَ، فقالَ: «اللَّهُمَّ إنَّكَ ترى مكاني، وتسمَعُ كلامي، وتعلَمُ سِرِّي وعلانيَتِي، ولا يخفى عليكَ شيءٌ مِنْ أمرِي، أنا البائِسُ الفقيرُ، المُستغيثُ المُستجيرُ، الوجِلُ المُشْفِقُ، المُقِرُّ المُعتَرِفُ بذنبِه، أسألُكَ مسألةَ المسكينِ، وأبتهِلُ إليكَ ابتهالَ المُذنِبِ الذَّليلِ، وأدعوكَ دُعاءَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٩٢).

(٢) في (ع): «رأسه».

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي في «مُرَافِق المُوَافِق» (ص: ٤٩) عن بعض السلف رضي الله عنهم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له. وقال: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». أما حديث أحمد: فبنحوه من حديث عبد الله بن عمرو (٦٦٥٥).

(٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٢) وقال: هكذا رواه من قول الأوزاعي وهو الصحيح.

الخائفِ الضَّريرِ، مَنْ خضَعَتْ لكَ رقبَتُه، وذلَّ لكَ جسدُه، ورَغِمَ لكَ أنفُه، وفاضَتْ لكَ عيناهُ، اللَّهُمَّ لا تجعلْني بدُعائكَ شقيًّا[١]، وكنْ بي رؤوفاً[٢] رحيماً، يا خيرَ المسؤولينَ، ويا خيرَ المُعطينَ»[٣].

وكانَ بعضُهمْ يقولُ في دُعائِه: بعزِّك وذُلِّي، وغِناكَ وفَقْري[٤].

وقالَ طاوسٌ: دخلَ عليٌّ بنُ الحسينِ ذاتَ ليلةٍ الحِجْرَ فصلَّى، فسمعتُه يقولُ في سُجودِه: عُبيدُكَ بفِنائكَ، مسكينُكَ بفِنائِكَ، فقيرُكَ بفِنائكَ، سائلُك بفِنائكَ. قالَ طاوسٌ: فحفِظْتُهُنَّ، فما دعوتُ بهنَّ في كَرْبٍ إلَّا فُرِّجَ عنِّي. خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا[٥].

وروى ابنُ باكُوْيَه الصُّوفيُّ بإسنادٍ له: أنَّ بعضَ العُبَّادِ حجَّ ثمانينَ حَجَّةً على قدميه، فبينما هوَ في الطَّوافِ وهوَ يقولُ: يا حبيبي! يا حبيبي! وإذا بهاتفٍ يهتِفُ به: ليسَ ترضى أنْ تكونَ مِسْكِيناً حتَّى تكونَ حبيباً! قالَ: فغُشِيَ عليَّ، ثمَّ كنتُ بعدَ ذلكَ أقولُ: مِسْكِينُكَ مِسْكِينُكَ، وأنا تائبٌ عن قول حبيبي[٦].

---

(١) في (س): «لا تجعلني بدعائك رب شقياً».

(٢) في (ع) و(ش) و(م): «باراً رؤوفاً» ولا توجد الزيادة في المصادر.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧٧)، وفي «المعجم الصغير» (٦٩٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «مرافق الموافق» (ص: ٤٩) من دعاء بعض السلف. واستحلى ابنُ القيم هذا القولَ في «مدارج السالكين» (١/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٦٥). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) من طرق. وفي (م) و(س): «يصلي»، و«فرّج الله عني».

(٦) أخرجه السلمي في «الفتوة» (ص: ٢٢ ـ ٢٣)، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» (٢/ ٢١) من طريق أبي عبد الله الشيرازي، وهو ابن باكويه.

فصلٌ

خرَّجَ ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه كانَ يقولُ في دُعائِه: «اللَّهُمَّ أَحْيِني مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحْشُرْني في زُمْرَةِ المساكينِ»[١].

وخرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أنسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ مِثْلَه، وزادَ: فقالَتْ عائشةُ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «لأنَّهمْ يدخلونَ الجنَّةَ قَبْلَ أغنيائِهمْ بأربعينَ خريفاً، يا عائشةُ! لا تَرُدِّي المسكينَ ولوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ، يا عائشةُ! أَحِبِّي المساكينَ وقرِّبيهمْ، فإنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يومَ القيامةِ»[٢].

وقالَ أبو ذرٍّ: أوصاني رسولُ اللهِ ﷺ أنْ أحِبَّ المساكينَ وأدنوَ منهمْ. خرَّجَه الإمامُ أحمدُ وغيرُه[٣].

وفي حديثِ معاذٍ: عنِ النَّبيِّ ﷺ أنه قال في قصَّةِ المنامِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألكَ فِعْلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ»[٤]. وذكَرَ الحديثَ.

والمرادُ بـ«المساكينِ» في هذه الأحاديثِ ونحوِها: مَنْ كانَ قلبُه مُسْتكيناً للهِ، خاضِعاً له خاشِعاً، وظاهِرُه كذلكَ، وأكثرُ ما يوجدُ ذلكَ معَ الفَقْرِ مِنَ المالِ؛ لأنَّ المالَ يُطْغِي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) وقال: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٩١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٩).

(٤) هو حديث «اختصام الملأ الأعلى» الذي أفرد المصنف فيه كتاباً سمَّاه: «اختيار الأولى». وقد أخرجه مطولاً الإمام أحمد (٢٢١٠٩)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ٥٥).

وحديثُ أنسٍ يشهدُ لهذا إلَّا أنَّ إسنادَه ضعيفٌ[١].

وخرَّجَ النَّسائيُّ مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أنه قالَ: «إنَّ الفَقْرَ فَقْرُ النَّفْسِ، والغِنى غِنى القلبِ»[٢].

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّما[٣] الغِنى غِنى النَّفْسِ»[٤].

ولِهذا قالَ الإمامُ أحمدُ وابنُ عُيَيْنَةَ وابنُ وهْبٍ وجماعةٌ مِنَ الأئمَّةِ: إنَّ الفَقْرَ الَّذي استعاذَ منه النَّبيُّ ﷺ هو[٥] فَقْرُ النَّفْسِ[٦]، فمَنِ استكانَ قلبُه للهِ وخشَعَ له فهوَ مسكينٌ وإنْ كانَ غَنِيًّا مِنَ المالِ؛ لأنَّ استِكانةَ القلبِ لا تنفكُّ عنِ استكانةِ الجوارحِ، ومَنْ خشَعَ ظاهِرُه واستكانَ وقلبُه ليسَ بخاشعٍ ولا مستكين فهوَ جبَّارٌ.

وفي الحديثِ الَّذي خرَّجَه النَّسائيُّ وغيرُه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ في طريقٍ وفيه امرأةٌ، فقالَ لها رجلٌ: الطَّريقَ، فقالَتْ: إنْ شاءَ أخذَ يَمْنَةً، وإنْ شاءَ أخذَ يَسْرةً، فقالَ رسول الله ﷺ: «دعوها فإنَّها جبَّارةٌ»، فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّها... يعني إنَّها مسكينةٌ، فقالَ: «إنَّ ذاك في قلبِها»[٧].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٧٨٥)، ولفظه: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب».

(٣) في (س): «إن» وليست من لفظ الحديث بل لفظه: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) استعاذة النبي ﷺ من الفقر وردت في أحاديث متعددة، منها ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٥٣).

(٦) كلام الإمام أحمد نقله الأثرم في «سؤالاته» (٢٣): «إنما استعاذ النبي ﷺ من فقر القلب». ولم أظفر بنقله عن ابن عيينة وابن وهب.

(٧) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣١٥) «طبعة الرسالة» من حديث أبي موسى الأشعري =

وقالَ الحسنُ: إنَّ قوماً جعلوا التَّواضُعَ في لباسِهِمْ، والكِبْرَ في قلوبِهِمْ، لبِسوا مَدَارِعَ الصُّـوفِ، واللهِ لأحدُهُمْ أشدُّ كِبْرًا بمِدْرَعَتِه مِنْ صاحبِ السَّريرِ بسريرِه، وصاحبِ المِطْرَفِ[1] بمِطْرَفِه[2].

وقدْ صحَّ عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه أنكرَ أنْ يكونَ لُبْسُ الثَّوبِ الحسَنِ والنَّعْلِ الحسَنِ كِبْراً، وقالَ: «الكِبْرُ بطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ»[3].

وهذا تصريحٌ بأنَّ حُسْنَ اللِّباسِ ليسَ بكِبْرٍ، وأنَّ الكِبْرَ إنَّما هوَ في القلبِ، وهوَ عدَمُ الانقيادِ للحقِّ تكبُّراً عليه، وغَمْطُ النَّاسِ هوَ احتقارُهُمْ وازدراؤُهُمْ، فمَنْ كانَ في نفْسِه عظيماً بحيثُ يحتَقِرُ النَّاسَ لاستعظامِ نفْسِه، ويأنَفُ مِنَ الانقيادِ للحقِّ تكبُّراً عليه فهوَ المتكبِّرُ، وإنْ كانَ ثوبُه ليسَ بحسَنٍ، ونعلُه ليسَ بحسَنٍ.

ومَنْ ترَكَ اللِّباسَ الحسَنَ تواضُعاً للهِ، أو خشيةَ أنْ يقَعَ في نفْسِه شيءٌ مِنَ الكِبْرِ، فقدْ أحسَنَ فيما فعَلَ، وكانَ ابنُ عُمَرَ يفعلُ ذلكَ[4].

= رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩١) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي (ع) و(س): «إن ذلك في قلبها».

(١) المِطْرَفُ: ثوب من خز مربع ذو أعلام. (مختار الصحاح) للرازي (مادة: طرف).

(٢) والأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩/ ١٦٩)، وابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (٦٦) (٧١)، ونحوه عند: الدولابي في «الكنى والأسماء» (١١٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٢) أن قزَعة قال: رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة أو خشبة، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن! إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة أو خشبة، فقال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختار فخور. ثم ساق عدداً من الأخبار المتعلقة بابن عمر وثيابه.

وقولُ النَّبيِّ ﷺ في الأَنْبِجانِيَّةِ[١] الَّتي لبِسَها: «إنَّها ألْهَتْنِي آنِفاً عنْ صلاتِي»[٢] يدلُّ على ذلكَ.

فصلٌ

وممَّا اختارَه النَّبيُّ ﷺ: مقامُ العُبوديَّةِ على مقامِ الـمُلْكِ.

وقامَ بين يديه ﷺ رجلٌ يومَ الفَتْحِ فارتعدَ، فقالَ له: «هوِّنْ عليكَ، إنِّي لستُ بمَلِكٍ، إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ مِنْ قريشٍ كانتْ تأكُلُ القَديدَ»[٣].

وقدْ صحَّ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «لا تُطْرُوني كما أطْرَتِ النَّصارى عيسى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه»[٤].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا محمَّدُ بنُ فُضيلٍ، عنْ عُمارةَ، عنْ أبي زُرْعةَ، قالَ: ولا أعلَمُه إلَّا عنْ أبي هريرةَ قالَ: جلسَ جبريل عليه السَّلامُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فنظَرَ إلى السَّماءِ، فإذا ملَكٌ مهولٌ، فقالَ جبريل عليه السَّلامُ: إنَّ هذا الملَكَ ما نزلَ منذُ يومِ

---

(١) في (س): «أنبجانيته» وهي بكسر الباء، ويروى بفتحها، يقال: «كساء أنبجاني» منسوب إلى «مَنْبِج» المدينة المعروفة، وقيل: إلى موضع اسمه «أَنْبِجان»، وهو كساء يتخذ من الصوف وله خمل ولا عَلَم له. (النهاية) لابن الاثير (١/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣) و(٥٨١٧)، ومسلم (٥٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٨) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، ٣٩١)، والبخاري مختصراً (٣٤٤٥)، ومطولاً (٦٨٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والإطراء المنهيُّ عنه هنا: هو مجاوزة الثناء بحقٍّ واقعٍ إلى مدحٍ بما لا يقعُ لبشر! كما فعلت النصارى بجعل عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً أو ابناً له أو شريكاً له! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

خُلِقَ قَبْلَ السَّاعةِ، فلمَّا نزلَ قالَ: يا محمَّدُ! أرسَلَني إليكَ ربُّكَ، أفمَلِكاً نبيًّا يجعلُكَ أمْ عَبْداً رسولاً؟ قالَ جبريلُ: تواضَعْ لربِّكَ يا محمَّدُ، قالَ: «بلْ عَبْداً رسولاً»[١].

ومِـنْ مراسيلِ يحيى بنِ أبي كثيرٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «آكلُ كما يأكُلُ العبدُ، وأجلِسُ كما يجلِسُ العبدُ، فإنَّما أنا عبدٌ». خرَّجَه ابنُ سعدٍ في «طبقاتِه»[٢].

وخرَّجَ أيضاً مِنْ روايةِ أبي مَعْشَرٍ، عنِ المقْبُريِّ، عنْ عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أتاني ملَكٌ فقالَ: إنَّ ربَّكَ يقرَأُ عليكَ السَّلامَ، ويقولُ لكَ: إنْ شئتَ نبيًّا ملِكاً، وإنْ شئتَ نبيًّا عبْداً، فأشارَ إليَّ جبريل عليه السَّلامُ ضَعْ نفْسَكَ، فقلتُ: نبيًّا عَبْداً». قالتْ: فكانَ النَّبيُّ ﷺ بعدَ ذلكَ لا يأكلُ مُتَّكِئاً، ويقولُ: «آكلُ كما يأكُلُ العبدُ، وأجلِسُ كما يجلِسُ العبدُ»[٣].

ومِنْ مراسيلِ الزُّهريِّ قالَ: بلَغَنا أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ ملَكٌ لمْ يأتِه قبلَها ومعه جبريلُ، فقالَ الملَكُ وجبريلُ صامتٌ: إنَّ ربَّكَ يُخيِّرُكَ بينَ أنْ تكونَ نبيًّا ملِكاً أوْ نبيًّا عَبْداً، فنظَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى جبريلَ كالمـُسْتأمِرِ[٤]، فأشارَ إليه أنْ تواضعْ، فقالَ رسول الله ﷺ: «بلْ نبيًّا عَبْداً». قالَ الزُّهريُّ: فزعموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمْ يأكُلْ منذُ قالَها متَّكِئاً حتَّى فارَقَ الدُّنيا[٥].

وفي «المسندِ»[٦] و«كتابِ التِّرْمِذِيِّ» عنْ أبي أمامةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «عرَضَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧١٦٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧١) ط دار صادر.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨١) ط دار صادر.

(٤) في (س): «كالمشاور له»، وفي (ع): «كالمستأمر له».

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨٠) ط دار صادر.

(٦) في حاشية (س): «خ: المستدرك». ولم أقف عليه في «المستدرك».

عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ ليجعلَ لي بَطْحاءَ مكَّةَ ذهباً، فقلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أشبَعُ يومًا، وأجوعُ يومًا ـ أوْ قالَ: ثلاثًا ـ أوْ نحوَ هذا[1]، فإذا جُعْتُ تضرَّعْتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبعتُ شكرتُكَ وحمِدتُّكَ»[2].

قالَ بعضُ العارفينَ: مَنِ ادَّعى العُبوديَّةَ وله مُرادٌ باقٍ فيه فهوَ كاذبٌ في دعواه، إنَّما تصِحُّ العبوديَّةُ لِمَنْ أفنى مُراداتِه، وقامَ بمُرادِ سيِّدِه، يكونُ اسمُه ما سُمِّيَ به، ونعتُه ما حُلِّيَ به، إذا دُعِيَ باسمِه أجابَ عنِ العُبوديَّةِ، فلا اسمَ له، ولا رَسْمَ، ولا يُجيبُ إلَّا لِمَنْ يدعوه بعبوديَّةِ سيِّدِه، وأنشأَ يقولُ:

يا عمروُ ثاري عند زهراءِ[3] يعرِفُه السَّامعُ والرَّائي

لا تدْعُني إلَّا بـ«يا عَبْدَها» فإنَّه أصدق[4] أسمائي[5]

---

(١) المثبت موافق لما في الترمذي، وفي (س): «ذلك» وهو موافق لما في «المسند».

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٦ (٢٢١٩٠)، والترمذي بعد الحديث (٢٣٤٧) وقال: حديث حسن.

(٣) في بعض المصادر: «أسماء».

(٤) وقد نقله السفاريني في «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢/ ٤٧٤) عن المصنف كما هو المثبت. وهو كذلك في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٩٦). وفي (س): «أشرف» وكذلك أوردته كثير من المصادر.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٥) دون البيت الأول، والرافعي في «أماليه» فيما عزاه له السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٢٨٦) من كلام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله المغربي الصوفي، المتوفى (سنة ٢٩٩هـ) رحمه الله تعالى.

وهنا تنتهي النسخة الخطية المرموز لها بـ (ع)، وجاء في آخرها: «تمت والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، على يد فقير رحمة ربه: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي، عامله الله بلطفه الخفي والجلي، هو وصاحب ما نقلت منه، ومؤلفه، وجميع إخواننا وأخواتنا وأصحابنا وجميع المسلمين. إنه سميع مجيب. =

غيرُه:

ما لي وللفَقْرِ إلى عاجزٍ ... مِثْلِيَ لا يملِكُ إغنائي؟!

وإنَّما يحسُنُ فَقْرِي إلى ... مالكِ إسْعادي وإشْقائي

أَتَيْهُ عُجْباً بانتمائي إلى ... أبوابِه إذْ قلتُ: مَوْلائِي

لا تدْعُني إلَّا بـ«يا عَبْدَه» ... فإنه أشرفُ[1] أسمائي[2][3]

* * *

= قرئت في يوم السبت بعد الزوال بالقرب من جامع الخَطيري سابع جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبع مئة أحسن الله تقضّيها وبقية العمر في خير وعافية بلا محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل».

والناسخ: من أفاضل الحنابلة بمصر، توفي (سنة ٨٠٢هـ) رحمه الله تعالى، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٢٢٤).

وجامع الخطيري هو ببولاق في مصر. انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (١١/ ٢٠٠).

وهنا تنتهي أيضاً النسخة الخطية للمكتبة المحمودية (م). وجاء في آخرها: «آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه، وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. كتبه الفقير إلى الله، الراجي رحمة ربه بمنه وكرمه: أحمد بن محمد بن خضر القطان، عفا الله عنه وعن والديه، وعمَّن دعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين، آمين».

وتنتهي كذلك نسخة مكتبة الرياض، وفيها: «آخره والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. حرره كاتبه بعد صلاة العصر ١٧ سنة ١٣٣٦ غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين آمين.

(١) بين أسطر (س): «أصدق».

(٢) لم أعثر على الأبيات عند غير المصنف رحمه الله. ونقلها عنه السفاريني في «غذاء الألباب» (٢/ ٤٧٤).

(٣) جاء هنا في حاشية (س) اليسرى: «آخره والحمد لله رب العالمين، حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم». وفي الحاشية اليمنى: «هذا آخر الكتاب، بلغ مقابلة وتصحيحاً حسب الطاقة».

روى الحافظُ أبو نُعيمٍ في كتاب «أسماءِ الصَّحابةِ»، [والسُّلمي][1] في «تاريخِ الصُّوفيَّةِ» بزيادةٍ كلاهما مِنْ طريقِ الشَّيخِ أبي سليمان الدَّارانيِّ رحمةُ اللهِ عليه، قالَ: حدَّثَني علقمةُ بنُ سويدِ بنِ الحارثِ الأزْديُّ، عنْ أبيه، عنْ جدِّه...[2]

يُذكَرُ وينقَلُ عنْ لقمانَ الحكيمِ أنَّه قالَ لابنِه: جمعتُ لكَ حِكْمَتِي في ستِّ كلماتٍ: اعمَلْ للدُّنيا بمقدارِ قيامِكَ[3] فيها، واعمَلْ للآخرةِ بمقدارِ بقائكَ فيها، واعمَلْ للهِ بمقدارِ حاجتِكَ إليه، واعمَلْ مِنَ المعصيةِ بمقدارِ ما تُطيقُ مِنَ العقوبةِ، ولا تسألْ إلَّا مِمَّنْ لا يحتاجُ إلى أحدٍ، وإذا أردتَ أنْ تعصيَ اللهَ فاعصِهِ في مكانٍ لا يراكَ فيه[4].

قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ رضي الله عنه: دواءُ القلْبِ خمسةُ أشياءَ: قراءةُ القرآنِ بالتَّدبُّرِ، وخلاءُ البَطْنِ، وقيامُ اللَّيلِ، والتَّضرُّعُ عندَ السَّحَرِ، ومُجالسةُ الصَّالحينَ[5].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضي الله عنه في موعظةٍ له حينَ سألوه عنْ قولِه تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وإنَّا ندعوه فلمْ يستجِبْ لنا، فقالَ لهمْ: عرفتُمُ اللهَ فلمْ تُطيعوه، وقرأتُمُ القرآنَ فلمْ تعملوا به، وعرَفْتُمُ الشَّيطانُ ووافقتُموه، وادَّعيتُمْ حُبَّ رسولِ اللهِ ﷺ وتركتُمْ سُنَّتَه، وادَّعَيْتُمْ حُبَّ الجنةِ ولمْ تعملوا لها، وادَّعيتُمْ خوفَ النَّارِ

---

(١) في (ش): «والنشور»!، وفي (س): «والسور»! وهما محرفتان عما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) هنا خلل قديم في نسخ هذه الرسالة، فالكلام الآتي لا تعلق له بهذا العزو، وإنما يتعلق بهذا: الحديث الطويل الذي سيذكره المصنف رحمه الله عن وفد الأزد.

(٣) في (ش): «بقائك».

(٤) لم أعثر عليه عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٢٧)، والقشيري في «الرسالة القشيرية» (١/ ١٠٤). وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٧٠).

ولمْ تنتهوا عنِ الذُّنوبِ، وقلتُمْ: إنَّ الموتَ حقٌّ ولمْ تستعدُّوا له، واشتغلتُمْ بعُيوبِ غيرِكمْ، وتأكلونَ رِزْقَ اللهِ ولا تشكرونَ، وتدفنونَ موتاكمْ ولا تعتبرون[1].

فنسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَنا لِمَا يرضيه عنَّا برحمتِه، ويختِمَ لنا بخيرٍ، إنَّه هوَ أرحمُ الرَّاحمينَ[2].

[3]لمَّا وفَدَ وَفْدُ الأزْدِ على رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنِ القومُ»؟ قالوا: المؤمنونَ يا رسولَ اللهِ، فقالَ: «إنَّ لكلِّ قولٍ حقيقةً، فما حقيقةُ قولِكُمْ؟» قالوا: خمسةَ عشرَ[4] خَصْلَةً: خمسٌ أمَرَتْنا رسُلُكَ أنْ نؤمنَ بها، وخمسٌ أمَرَتْنا رسُلُكَ أنْ نعمَلَ بها، وخمسٌ تخلَّقْنا بها في الجاهليَّةِ ونحنُ عليها إلَّا أنْ تكرَه منها شيئاً.

قالَ: «ما الخمسُ الَّتي أمرَتْكُمْ رسُلِي أنْ تؤمنوا بها؟»، قالوا: أنْ نؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ.

قالَ: «وما الخمسُ الَّتي أمرَتْكُمْ أنْ تعمَلوا بها؟»، قالوا: أنْ نقولَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ونقيمَ الصَّلاةَ، ونؤتيَ الزَّكاةَ، ونصومَ رمضانَ، ونحجَّ البيتَ مَنِ استطاعَ إليه سبيلاً.

قالَ: «وما الخمسُ الَّتي تخلَّقْتُمْ بها في الجاهليَّةِ؟»، قالوا: الشُّكْرُ في الرَّخاءِ، والصَّبرُ في البلاءِ، والرِّضى بمُرِّ القضاءِ، والصِّدْقُ في مواطنِ اللِّقاءِ، وتركُ الشَّماتةِ بالأعداءِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «حكماءُ علماءُ كادوا من صِدْقِهِمْ[5] أنْ يكونوا أنبياءَ، وأنا

---

(١) أخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥).

(٢) في حاشية (س): «بلغ».

(٣) هذا الخبر يتعلق بما سبق التنبيه عليه في الصفحة السابقة.

(٤) لعله: خمسَ عشرة.

(٥) المثبت من (ش) موافق «للحلية»، وفي (س): «فقههم». وهو موافق لما في «البداية والنهاية».

أزيدُكمْ خمساً، فتتمُّ لكمْ عشرونَ خَصْلةً، إنْ كنتُمْ كما تقولونَ، فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تنافسوا فيما أنتمْ [عنه][1] غداً تزولون، واتَّقوا اللهَ الَّذي إليه تُرجعون، وعليه تُعرَضون، وارغبوا فيما أنتمْ إليه تنقلبون، وفيه تَخْلُدون». فرجعَ القومُ وقدْ حفِظوا وصيَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ وعملوا بها[2].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين[3]

* * *

(١) ليست في النسخ، وهي في المصادر، ولا بد منها.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٩)، وعزاه المصنف كما سبق إلى «أسماء الصحابة» لأبي نعيم، وهو «معرفة الصحابة»، ولم أجده في المطبوع منه، وقد عزاه إلى «معرفة الصحابة» أيضاً: ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٧٠) دار هجر. وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي، ولم أجده في «طبقات الصوفية» ومن طريقه: البيهقي في «الزهد» (٩٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ١٩٨ ـ ٢٠١)، وغيرهم. وليس له إلا هذا الحديث الواحد.

(٣) في (س): «تم بحمد الله وتوفيقه وتيسيره ومنه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. وقع الفراغ من نسخه عشية يوم الخميس الموافق ثلاثة عشر من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة، بقلم الفقير إلى الله عبده عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه وللمسلمين أجمعين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

وفي حاشية (ش): «بلغ [مقابلة] بحسب الطاقة».